

المحاضرة السادسة والعشرون.....نشأة علم الغريب

لمحة عن نشأة علم الغريب .

في القرآن الكريم إشارات على أن غريب القرآن عاصر التنزيل، منها قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤]. ولا غرابة في ذلك، لأن القرآن نزل بلهجات مختلفات، كل لهجة وفدت من بيئة مخالفة للأخرى.

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا التبس عليهم لفظ من القرآن، رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيفسره لهم. ومن الشواهد الحديثية ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه سُئِلَ عن تفسير قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس، ٢٦] فقال: فيما يروي عنه أنس رضي الله عنه (للذين أحسنوا أي: العمل في الدنيا، لهم الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى). وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، امتنع أغلب الصحابة عن تفسير ألفاظ القرآن الكريم، حيطة واحترازا من افتراء الكذب على الله .

من الصحابة الذين أقدموا على تفسير ألفاظ القرآن الكريم عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، قال السيوطي: (وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما ﴿فاطر السماوات﴾، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتهما، يقول: أنا ابتدأتها). وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله تعالى ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف، ٨٩] حتى سمعت قول بنت ذي يزن (تعال أفاتحك). تقول: تعال أخاصمك.

أبرز المصنفات في علم غريب القرآن:
عرف التأليف في هذا العلم منذ القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري

كَمَا غزيرا من المؤلفات ، وقد اكتفيت بذكر شذرات يسيرة منها .

١- مسائل نافع بن الأزرق" (في غريب القرآن) لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ): وهي أسئلة عن ألفاظٍ غريبة من القرآن، امتحنه بها نافع بن الأزرق .

٢- غريب القرآن" لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح الجريري (ت١٤١هـ)

٣- تفسير غريب القرآن" لأبي عبد الله بن أنس بن مالك الأصبحي(ت١٧٩هـ).

٤-معاني القرآن"لمحمد بن المستنير قطرب (ت٢٠٦هـ) .

٥- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن" ويُشتهر أيضا ب"التبيان في تفسير غريب القرآن"؛ لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ).

٦- تفسير غريب القرآن" لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) .

٧- معاني القرآن"؛ لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) .

نزل القرآن الكريم على الرسول العربي ﷺ بلسان عربي مبين، فكانت هذه الظاهرة ضرورة اجتماعية لنجاح رسالة الإسلام ، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة العربية جزءاً من كيان الإسلام ، وأساساً للتخاطب في إبلاغ دعوته ، وكانت بعثة رسولنا ﷺ إلى الإنسانية كلها ، وأعلن ذلك القرآن فقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} ، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} .

ونشأت نواة الدولة الإسلامية في جزيرة العرب، ولا شك أن اللغة تحيا بحياة

أمتها وتموت بموتها، فكانت نشأة الدولة الإسلامية على هذا النحو حياة للغة العرب، فالقرآن وحي الإسلام، والإسلام دين الله المفروض، ولن يتأتى معرفة أصوله وأسسهِ إلا إذا فهمَ القرآن بلغته، فأخذت موجة الفتح الإسلامي تمتد إلى الألسنة الأخرى الأعجمية، فتعربها بالإسلام، وصار لزاماً على كل من يدخل في هذا الدين الجديد أن يستجيب له في لغة كتابه باطنًا وظاهرًا، حتى يستطيع القيام بواجباته، ولم يكن هناك حاجة إلى ترجمة القرآن له ما دام القرآن قد ترجم لسانه وعربه إيمانًا وتسليمًا.